الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

روعة وعظمة اللغة العربية: قصيدة 'اللغة العربية' لحمد بن خليفة أبو شهاب انموذجا (1)

يحيى صالح حسن دحامي الحبابي

دكتور/ أستاذ مشارك،

جامعة الباحة - المملكة العربية السعودية

dahami02@gmail.com

الملخص :

اللغة العربية، قديماً، وخلال عصر ما قبل الإسلام، وفي صدر الإسلام وحتى اليوم تعتبر لغة عظيمة وجديرة بالاحترام من خلال مكوناتها وتقاليدها وأعرافها وممارستها، الشاعر حمد بن خليفة أبو شهاب واحدٌ من الشعراء المعاصرين الذين ربطوا في حياتهم بين قرنين، القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين، وهو أحد الأدباء الذين اهتموا تأييدا للغة العربية الفصحى.

يقوم الباحث، في هذه الدراسة البحثية الأدبية بمحاولة إظهار واثبات، إلى أي مدى، استطاع الشاعر من خلال قصيدته 'اللغة العربية'، كحالة من العظمة والاستحقاق والمكانة الجليلة للغة العربية الفصحى وقيمتها، بالإضافة إلى تأثيرها وتأثرها، قصيدة 'اللغة العربية' لم يتم دراستها من قبل أو تناول تحليلها ونقدها علمياً وأكاديمياً، لهذا الدافع، تستحق القصيدة إيلائها الاعتبار الكافي لأنها تتعامل مباشرة مع موضوع جوهري وهو اللغة العربية الفصحى، ومن خلالها يحاول الباحث تناولها كميراث من موروث اللغة العربية الفصحى.

تتبع هذه الدراسة المنهج التحليلي والوصفي الناقد والتي تبدأ، في جزئها الأول، برسم تمهيدي موجز عن اللغة العربية وأهميتها، وبعد ذلك يتجه الباحث إلى النقطة الرئيسية للدراسة التي خطط اتباعها وهي التعامل الوصفي والتحليلي والنقدي مع القصيدة وحكمتها ومفاهيمها، متناولا نصف القصيدة (الخمسة عشر البيت الأول) بالشرح والتحليل، في هذا الجزء يسعى الباحث إلى إظهار مكانة اللغة العربية الفصحى وإبراز قدرات وملكات الشاعر حمد بن خليفة أبو شهاب كشاعر عربي معاصر استشهاداً بقصيدته اللغة العربية، وتتبع هذه الدراسة بمناقشة موجزة عن نقاط القوة والضعف في القصيدة إن جدت، متبوعة بالخاتمة التي تظهر نتائج التحقيق البحثي وتوضح التوصيات والنتائج.

الكلمات المفتاحية: **أبو شهاب**، الشعر العربي، اللغة العربية الفصحى، سمو اللغة العربية

مقدمة :

1. اللغة العربية: التأثير والتأثر (شموخٌ وسموّ)

اللغة العربية هي لغة غراء موقرة ومبجلة يهتف ويهلل بها الفؤاد قبل اللسان، باعتبارها اللغة الرئيسية للملايين في الوطن العربي بل وفي دول عديدة من دول العالم التي يقطنها مئات الآلاف من العرب وممن يتكلمون اللغة العربية، وتعتبر اللغة العربية كواحدة من أهم اللغات في العالم بأكمله، وهي بذلك تنتظر من أبنائها النهل والاشتفاف من منبعها الغزير الذي لا ينضب، هي معشوقة وعاشقة، معشوقة من الملايين لروعة منطقها وفحواها، وهي تعشق جمال الإبداع، لقد كانت ومازالت اللغة العربية محط اهتمام العلماء والأدباء العرب والعلماء الأجانب والمثقفين والنحاة حتى يتمكنوا من سرد كلماتها وعباراتها بسلاسة منطقية وفقاً لضوابط قواعدها الواضحة والجلية، وعلى الدوام تحظى اللغة العربية باهتمام ودراسة من العديد من النقاد والأدباء والعلماء الأجانب والمستشرقين.

لقد تطورت اللغة العربية بجلاء وبشكل مشهود منذ ما قبل الإسلام بعشرات القرون، وهي حافظة للقرآن الكريم ومحمية بالقرآن الكريم ومصانة بنحوها وقواعدها، فهي لم تتغير في أصولها وحروفها مثل باقي اللغات الأخرى لآلاف السنين حيث سميت لغة الضاد اشتقاقا لأحد حروفها، فهي اللغة الوحيدة التي تحتوي على الحرف ضاد (ض) الذي تفتقده لغات العالم الاخرى، وعلى الرغم من أن العرب يتحدثون اللغة العربية فإنهم لا يدركونَ حلاوةَ معانيها وعذوبةَ الفاظِها المليئةُ بالمشاعرِ والأحاسيسِ إلا في القرآن الكريمِ، ويكفي اللغة العربية أنها لغة

القرآن الذي عظّمها بحفظ دائم ديمومة الحياة برعايةٍ إلاهيةٍ مقدسةٍ؛ وهي باقية خالدة وحية جديدة ومتجددة بما ينتجه أبنائها في مجالات العلوم المختلفة، فاللغة العربية هي حاضنة العلوم.

ومن خلال تقديرات الإحصاءات، يقدر عدد الناطقين بالعربية بأكثر من نصف مليار شخص في جميع أنحاء العالم، ولا يزال العدد يرتفع بسبب جمال وأناقة اللغة العربية ومثل ذلك أهميتها ومكانتها؛ اللغة العربية هي واحدة من اللغات الأصيلة والمرموقة والضرورية والمفعمة بالحياة، فمنذ القدم وهي مكتنزة بخلفيةٍ هائلةٍ من المفرداتِ التي قادتها لتكونَ واحدةً من اللغاتِ العالميةِ المستحقةِ للاعتبارِ والاهتمامِ جنباً إلى جنبٍ مع العديدِ من اللغاتِ الأخرى؛ "وقد ظلت اللغات على مر العصور تضعف وتقوى تبعاً لما يعتري أهلها من القوة والضعف، ... وبرزت وسط هذه التساؤلات مسألة اللغة العربية وموقعها في هذا البحر المتلاطم من الصراع الحضاري باعتبارها رمزا لأمة ذات تاريخ مجيد وحضارة عريقة ودين خالد ما فتئ يتمدد في أقطار الأرض ويكسب في كل يوم أتباع جددا" (زرمان، 2018، ص 7-8)؛ وهذه المكانة لا تعكس فقط عدد الكُتّاب والأدباء والشعراء وعلماء اللغة والمتحدثين بها، وإنما تعكس إلى جانب تلك المكانة التي احتلته اللغة في التاريخ، وكذلك الدور الهائل الذي لعبته في عصور تاريخية قديمة وموصولة حتى اليوم في التنمية والنمو والتوسع للمجتمعات العربية والإسلامية وتقدمها؛ وتبقى الصورة ويستمر المثال والكيان، واثر التأثير يحمل معه الانجاز للغة العربية الفصحى معترف به وبأهليتها؛ ومثل ذلك تبقى ذو قيمة في كل ركن وزاوية من أركان وزوايا الأرض.

تاريخ الأدب اللغوي، كما عرّفه الهاشمي في كتابه الشامل 'جواهر الأدب في أدبيات وانشاء لغة العرب' (1969)، هو العلم الذي يبحث في اللغة وظروفها - نثرها وشعرها - وفي مختلف العصور، انها العلم الذي يكشف ويوضح المكانة العالية؛ ومثل ذلك ما حدث لروادها الذين تركوا تأثيرًا واثراً فيها، والهاشمي يعرف اللغة العربية قائلا إنها "إحدى اللغات السّامِيّة، وهي لغة أمة العرب القديمة العهد الشائعة الذكر، التي كانت تسكن الجزيرة المنسوبة إليها في الطرف الغربي من آسيا"؛ ويضيف حسين مؤنس في كتاب 'الحضارة' (1978) تعليقاً وصفياً صادقاً عن اللغة العربية بقولة "إنها لهجة من لهجات السامية الأصيلة ... وأصفى صور هذه السامية الأصيلة - التي نشأت في جزيرة العرب - هي اللغة العربية التي أنشأت بالفعل ثقافة كاملة، ولم تعد مجرد أداة ثقافة بل أداة وثقافة معا" ص 343.

وعطفاً على ما قاله ورتبت (Wortabet, 1907) في كتابه (Arabian Wisdom: Selections and Translations from Arabia) أن اللغة العربية غنية وبشكل خاص في النوع المسمى بالأمثال الأدبية، والتي غالباً ما يتم ادراج أمثلة أدبية معبرة كما ينبغي في المحادثات والرسائل والكتب، والتي تضيف قوة في القول والمعنى إلى ما يقال أو يكتب (ص 12)؛ كان ومازال الاشتياق والتيم والولع إلى الكتابة الشعرية باللغة العربية عنصراً من عناصر جمالها ورونقها بالإضافة إلى شموخها وإكبارها وعلو شأنها، فالشعر العربي لا حدود ولا نهايات له عدد الشعراء عبر العصور والأزمان حيث بدأ قبل ظهور الكتابة بالتنقل من فمٍ إلى آذان عديدة ومن أفواه إلى أخرى تتغنى به وتطرب، ومثل ذلك تعلم من خلاله الفخر والشجاعة والكرم والمجد، والشعر عامل من عوامل الجذب والإمتاع حيث ينجذب إلى قوة معانيه وعذوبة الفاظه كثير من المستمعين، على اختلاف أجناسهم وأعمارهم ومكانتهم؛ أعنياً أو فقراء، شباباً وشيوخاً، رجالاً ونساً. فالشعر العربي مليء بالوسائل الشعرية وكذلك بالنبرات الموسيقية البديعة (Dahami, 2015)، إن اللغة العربية لم تكن مجرد عائل لغوي فقط ولكنها كانت وسيط مؤثر ينبض ومفعم بالحياة ويدعو للتجديد الثقافي واكتساب المعارف العلمية، واللغة العربية هي اللغة القومية التي تجمع العرب القاطنون في الجزيرة العربية والهلال الخصيب ودول شمال افريقيا.

إلى جانب ذلك، فاللغة العربية هي وسيلة التواصل الديني للدول الإسلامية والدول العربية، وفي سياق تطورها، أصبحت اللغة العربية المفضلة على عده لغات، والتي كيفت في طياتها قدراً كبيراً من المصطلحاتِ، وقد أدي ذلك بدورهِ إلى إظهار تأثيرها وأثارها ونفوذها على عدة وسائل التواصل في الشرق وفي الغرب، ومما لا شك فيه أن اللغة العربية وضعت بصماتها المتميزة على كل من المفردات والمصطلحات وكذلك علم وفن الخط في العديد من بلدان ودول العالم بسبب عوامل عديدة، ثلاثة من تلك العوامل تمثلت في القرآن الكريم؛ والعامل الثاني تمثل في وسائل وأدوات التواصل الجليلة كالشعر والأدب، أما العامل الثالث فتمثل في الحضارات المختلفة على مر العصور التي كانت عاملاً هاماً في انتشار اللغة من خلال الأسفار والتعاملات والعلاقات التجارية.

ظهرت وتكونت اللغة العربية بجانب العديد من اللهجات القبلية المجاورة للجزيرة العربية التي كانت تتحدث بها تلك المجتمعات، وكان للغة العربية تأثير جلي على محيطها، فهي لغة قويمة وواضحة، تتدفق عباراتها بكل سلاسة وانسياب واريحية، وفهمها ليس عسير على من أراد أن يتعلمها من المجتمعات الأخرى، واللغة العربية الفصحى سليمة لا تشوبها شائبه وخالية من العيوب وأوجه القصور، وهي أيضا لغة العلوم الإنسانية والأدبية، فضلاً عن أنها أداه التواصل في الشعر والخطابة ويدعم موقفنا ما نقله إميل منذر (2016)، في كتابه 'اللغة العربية الفصحى: مشكلاتها ومشاريع تيسيرها' الذي أورد بقوله: "إلى جانب اللهجات القبلية هذه قامت لغة نفضت عنها عيوب تلك اللهجات، وأخذت عنها أفضل ما فيها؛ فأضحت لغة الشعر والخطابة والأدب" (ص 13).

لقد ربطت اللغة العربية اللهجات الأخرى ومصطلحاتها واذابتها في كيان واحد موحد فصيح ومفهوم وواضح في عباراته ومدلولاته، وشكلت واحدة من أفضل وارقى اللغات في المكونات والأمثلة والنماذج اللغوية، ولقد تخلصت من العيوب التي تميزت بها اللهجات الأخرى (Dahami ، 2018)، وكان أهم وأجل تطور تميزت به اللغة العربية هو القرآن الكريم الذي من خلاله صمدت أمام عواصف المتغيرات اللغوية ورسخت جذورها عميقة خالدة في أفئدة أولي الألباب، بالإضافة إلى ما أضافه العلماء والمترجمين الذين نهلوا من عبقها من خلال الأعمال الأدبية للعصور القديمة نثرهم وشعرهم، يعزز ما طُرِحَ من هذا النقاش الباحث Gruendler (2002)، كشاهد في كتابه (Medieval Arabic Praise Poetry) بقوله "الشعر العربي الفصيح هو القياس الأدبي الذي استمد منه اللغويون العرب وعلماء الأنساب في العصور الوسطى وغيرهم من العلماء والنقاد قصائد وأبيات شعرية كشواهد إثبات لدعم وبرهنة حججهم ونظرياتهم، وبهذه الطريقة فإن الشعر القديم هو الحكم لكثير من القضايا الأدبية "(ص 257).

كان الشعر العربي الفصيح ولا يزال محتفظاً بالمكانة العليا بين متغيرات الحقول والمجالات الأدبية في اللغة العربية، لم يتزحزح الشعر العربي قيد انملة عن مكانته القيمة والجوهرية بين عناصر الأدب العربي والذي ارتبط منذ عهد ما قبل الإسلام، أي ما يزيد عن ألف وست مئة من السنينِ، ولا يزال الشعر العربي ديوان التجمع الثقافي للمجتمعات والفعاليات الأدبية، يعتقد العديد من النقاد واللغويين والمؤرخين أن الدوافع لبناء الشعر العربي كنوع من أنواع الأدب هي متعددة ومنها الظروف، والحالات، والمتطلبات أو الأجواء العامة التي انشأها الخبراء وعلماء اللغة العربية كوسيلة من أجل التواصل والحوار، وتطورت بمرور الزمن حتى وصلت إلى مكانتها الحالية، ومن البديهي أن اللغة العربية تعتبر وسيط هام في الثقافة العربية ووسيلة للشعر المروي والمنطوق، وبناء على ذلك فإن الشعر بما يمتاز به من وفرة وغزارة لم يحز مكانة مميزة في حياة العديد من القبائل والعشائر العربية فحسب بل كان عامل كقوة بينية ودمج فيما بينهم.

استشهاداً بما نقله لنا تشيني (Chejne 1969)، في كتابه (Arabic Language: Its Role in History) والذي يؤكد أن مما لا شك فيه أن الشعر بالنسبة للعرب كان من الأسباب التي جعلهم يعزون بالفضل له من خلال استحضار الشعور والوعي والإدراك والبصيرة واليقظة لكونهم قبيلة واحدة أو كيان واحد، وذلك لأن الشعر يسهم في تكييف التعبيرات الروحية والفنية والمعرفية، وبذلك فإن أهمية هذا الشعر مثبت ومعزز من خلال المكانة المشتهاة والمرغوبة فيها والتي طابعها النفوذ والسيطرة والتحكم والذي تمتع بها الشاعر العربي في فترة ما قبل الإسلام بين أعضاء قبيلته من خلال قوة شعره الموزون والمنظوم (ص 8).

اللغة العربية هي الأداة الصادقة والاصيلة والصريحة والموثوقة لنقل المعلومات، وهي المرجع لحياة كهذه التي تتميز فيه اللغة بالقوامة والبساطة والمباشرة، إلى جانب ذلك، فإن ذلك هو أصل ثابت بين كُتّاب النثر والشعراء الذين قَدّموا لغة مثمرة فاتنة ومثيرة عن طريق اختيار مفردات واضحة وتراكيب مصقولة سلسة، والتي أشار إليها مؤرخي الأدب القديم مثل الكرنفالات والأنشطة الأدبية والتجارية والاحتفالات الدينية التي كانت تجري حيث يلتقي الشعراء والبلغاء من الخطباء بتقديم منتجاتهم الأدبية (Dahami 2018).

علاوة على ذلك، كما يوضح الناقد كلوستن (Clouston 1881)، الذي يشير إلى أن اللغة العربية حققت أكبر قدر من الكمال، ونتيجة لذلك فالمسابقات والمنافسات الشعرية التي اعتادت أن تقام في السوق السنوي والمشهور بسوق عكاظ والذي دائما ما كان انعقادها مصاحباً لفعاليات الحج (ص 31)، وكان سوق عكاظ هو المكان الأكثر تميزاً لإقامة الفعاليات الأدبية والزجالات الشعرية وقصائد المدح والافتخار بالقبيلة وكذلك التحدي ومهاجمة الخصوم كون سيف الكلمة يعتبر احد من السيف وانفذُ من النبل، كثير من النقاد أكدوا الموقف موضحين أن العربي الذي يريد أن يجيد ويبدع في استخدام اللغة العربية نثراً أو شعراً فإن عليه أن يمتلك قدرات ووسائل التواصل التي تجعل جميع المستمعين مدركين ومستوعبين المعنى الضمني للقول بشكل فعال وهذه المهارة قد لا تتسنى لكل واحد.

بعناية يحرص كل من المتحدث والشاعر على انتقاء وتطبيق صياغة وتعابير راقية وذو دلالة عالية في المعنى عند التحدث باللغة العربية الفصحى، فالأسلوب والصياغة للعبارات بلغةٍ متقنة ومثالية تمتلك إيقاع وتناسب وانسجام بين اللفظ والمعنى يناسب جميع المستمعين، فقد اعتاد قيام الاحتفالات والفعاليات الأدبية والكرنفالية في عدد من المدن والقرى والتجمعات والقرى على امتداد جزيرة العرب وعلى وجه الخصوص مكة والطايف واليمن السعيد والهلال الخصيب وغيرها من الأماكن التي كان لها تأثير بارز نتج عنه اندماج اللغة العربية وتداول اللغة الفصحى كنموذج والذي أسهم في جعل اللغة العربية هي اللغة السائدة بين جميع الكيانات والمكونات.

وفقاً لنبيه أمين فارس (Faris1946)، الذي أشار في كتاب (The Arab Heritage) أنه في الوقت الحاضر، كان المؤرخون المسلمون العرب مهتمون بدرجة عالية بالشعر، وبالقرآن الكريم، وتاريخ الأنساب، وقد صوّروا مقامين رئيسيين في تاريخ حقبة ما قبل الإسلام: كانت الأولي مكة المكرمة وما تحويه من مكانتها المقدسة للعبادة والحج ورمزيتها المتمثلة في الكعبة المشرفة؛ والمقام الثاني هو الحياة النموذجية والمنفتحة على السفر والترحال ولاسيما رحلتي الشتاء والصيف التجاريتين، كل ذلك كان يحدث من خلال وضع المجتمعات المتلهفة للإبداع وأيضاً السيطرة والنفوذ كإحدى مناظرها وخلفياتها الثقافية والاجتماعية مع تكرار جزئي يتمثل في الغارات ومثل ذلك التنافس من أجل ملكية

وحيازة بئر ماء أو انتقام لدم قتيل، ومما لا شك فيه أن مكة كانت محور تركيز كبير في شبه الجزيرة العربية، وحياة البدو كانت هي السمة الأكثر تميزاً في المرحلة السابقة للإسلام.

ومع ذلك فإن أولئك الذين يلهمون الثقافات والعادات والتقاليد العربية ويجعلون الممارسة السائدة في لغتها الشعرية تتجلى في عدة مسائل أو حالات، على سبيل المثال الناقد (Coke 1929) في كتابه The Arab's Place in the Sun، يشير إلى انتشار اللغة العربية بمدى أوسع من الخيال ويوضح أن العرب أنفسهم لم يعودوا فقط أولئك القلة من المشرعين للقوانين اللغوية والفلاسفة والمؤرخين والشعراء ورواة القصص الذين زينوا ساحات بغداد وجعلوا اللغة العربية واحدة من أكثر الأدبيات غزارة في الأدب العالمي الذين يفتخرون ويتفاخرون بانتمائهم أصوليا إلى الجزيرة العربية (ص 77)، بل إن اللغة العربية بانتشارها أوجدت لها أنصار ومؤيدين ومعجبين من أقطار كثير خارج حدود جزيرة العرب، بالإضافة إلى ذلك نستطرد ما ذكره (Browne 1927) في تصريحه حول اللغة العربية والذي أشار إلى أن العقل العربي هو عقل نظيف وصافي وإيجابي، وأن اللغة العربية هي لغة قوية مكتملة الرجولة وأنها غنية في الواقع وفرضياً، حيث كان العرب القدامى أناساً أصحاب فطنة وذو ذهن لماح، ومثل ذلك كانوا من الذين يمتلكون وقفات وملاحظات قوية (Thorndike, 1927, p. 285).

اعتادت القبائل العربية على التمسك بأعراف السيطرة والهيمنة، وتأكيد ذلك على الأرض الحيوية الواسعة المتمثلة في جزيرة العرب وبشكل رئيسي في منطقة مكة المكرمة والمدينة المنورة، بالإضافة إلى نجد أو ما تسمي 'بالأرض العالية من وسط جزيرة العرب'، والتي كانت هذه الأماكن من أقدمها التي أنتجت أنواع من أدب العرب، ولا مجال للشك في أن قاطني هذه المدن والبوادي كان حديثهم مرتبط بالقواعد النحوية وتصريفاتها عفوياً وفطرياً من خلال الممارسة والاستماع وليس من خلال التعليم المنتظم، وشعر تلك الفترات خير برهان وخير دليل (Chenery, 1869, p. 12)، وبالمثل، إلى حد ما، وإذا جاز القول فإن أهل مكة المكرمة كانوا الأقرب الذين اتخذوا نهجاً في حياتهم شبيهً بمعيار الحياة ومدنيتها المعاصرة من أي موطنٍ آخر على امتداد جزيرة العرب (Hogarth, 1922, p. 17).

0. قصيدة عربية مستحقة الجدارة

قصيدة 'اللغة العربية' لحمد بن خليفة أبو شهاب موضع الدراسة هي وصف تحليلي ناقد مباشر لعظمة وسمو ورفعة وجمال اللغة العربية الفصحى التي حازت ضخامة وحيز غير مقاس نتيجة لمقدار ما تمتلكه وتحتوي في مكنونها من المفردات والمصطلحات والتعبيرات اللامحدودة والمصانة بالقرآن الكريم؛ وهذه القصيدة من القصائد النادرة والمتميزة التي تتطرق إلى وصف اللغة العربية.

1. **لغة القرآن يا شمس الهدى صانك الرحمن من كيد العدى** (Abu Shihab)

يستهل الشاعر قصيدته بالمدح والثناء للغة العربية الفصحى وبانها اللغة الوحيدة في العالم التي لا خوف عليها فهي محمية ومصانة ليس من البشر وإنما من خالق البشر ولو أن صونها وحمايتها يأتي بشكل غير مباشر إلا إن هناك ارتباط مطرد بين اللغة العربية الحافظة للقرآن الكريم وبين القرآن الكريم المحفوظ والمصان من الرحمن الرحيم سبحانه الذي يقول (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)، ويقول جل شانه عن مكانة اللغة العربية الفصحى (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)، حيث أن الله سبحانه وتعالى كَرّمَ ومجّد اللغة العربية بِأن جعلَ القرآن الكريم بلسانها المبين والواضح الجلي الذي لا لبس فيه ولا غموض، الشاعر في هذا البيت الشعري الأول يرسم مخاطباً اللغة العربية كشمس ساطعة في أوج قوتها فترة الضحى كدليل على قوتها ومكانتها الواضحة والجلية، نجد هنا استعاره صريحة في هذا البيت، حيث يجعل الشاعر اللغة العربية أنها هي الشمس التي تنير الطريق وتهدى كل من يمشي، وهنا نجد استعارة حسية في شكل مقارنة بين الشمس المحسوس إنارتها وبين اللغة العربية المدلول ضمناً انارتها، ليس ذلك فحسب، بل إن اللغة العربية ترشد وتوجه العقول والقلوب إلى مسار المعرفة الفكرية والمعلومات المنطقية والفلسفية ومثل ذلك اكتساب الخبرات في جميع مجالات ونواحي المعرفة الحياتية والدينية.

يقول الشاعر حمد بن خليفة أن هذه اللغة يحفظها الله الذي احد اسمائه الحافظ وذلك بحفظ الله للقرآن الكريم، فالقرآن الكريم مصان جيدا ومحمي بالفعل بكلمه الله: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)، وتفسير ذلك، "نحن الذين أرسلنا الذكر 'أي القرآن الكريم' وبالتأكيد 'إنا سنحميه من أي فساد أو تحريف'" (الهلالي ، 1419 هـ ، ص 339). فالقرآن هو تحد للبشرية جمعا، إنها حقيقة واضحة ساطعة لا لبس فيها للمسلمين حيث أنه إلى الآن أكثر من قرن وأربعمائة عام قد انقضت ولم تتغير كلمة واحدة من القرآن الكريم ولا حتى حرف واحد، وأن محاولات الحاقدين والفاسدين أخلاقاً وأعداء الحق لم تنجح، والحق قول الله وكلمته فهو الذي يحرسه ويصونه، وبالتالي، فإن اللغة العربية هي التي يعتني بها الله لأنها وسيلة قراءة القرآن الكريم وكتابته وفهمه وتدارس معانيه وتوجيهاته، والشاعر هنا يرمز إلى فكرة مهمة والتي من خلالها أراد أن يدرك قُراؤه ومستمعوه أن اللغة العربية لغة ارتبطت بالإعجاز وأنها ابدية خالدةٌ لأنها وسيلة التواصل مع القرآن الكريم، فضلاً عن ذلك، فإن القرآن الكريم، وفقاً لوجه نظر الشاعر، هو شمسٌ مشرقةٌ لا يستطيع أي شيطان أن يقف أمامه وأمام آياته، وبنفس الكيفية ينعكس ذلك على لغة القرآن، للمزيد ينظرُ في تفسير البغوي،(1411) هـ ، ص 369/370؛ و محمد عطا رمضان، (2010) ، ص 315؛ و محمد سيد عبد الرحمن في كتابه (2003 'The Qur'aan and its Sciences'،) ، ص 43 ، 49 ، 68 ، 146 ، 249 ؛ محمود

الدوسري، 2013)، ويؤكد الشاعر في الكلمتين الأخيرتين (كيد العدى) من البيت الشعري الأول في قصيدته أن اللغة العربية محفوظة ومصانة ليس فقط من أعدائها من البشر فحسب، بل إنها محمية من الشياطين الاشرار.

0. هل على وجه الثرى من لغة أحدثت في مسمع الدهر صدى

في البيت الثاني يبدأ الشاعر حواره التصويري بسؤالٍ وتقصٍ ولكن الإجابة أسهل من أن تجعل المستمع أو القارئ يحتار ويتردد أو يقف للتفكير، إنه سؤال تفضيلي وليس مجرد مقارنة بين لغتين أو لغات بل وضع اللغة العربية في مقابل جميع لغات العالم من حيث أثرها وخلودها وتأثيرها على سامعيها، يشيرُ الشاعرُ إلى أن تأثير وصدى اللغة العربية هو الأوسع والأقوى وقعاً وانطباعاً ليس في مكان معين من الأرض بل يشمل وجه الأرض كاملة، وليس هذا فحسب بل إن تأثير ووقع اللغة العربية لم يقتصر على فترةٍ زمنيةٍ محددةٍ وإنما شملَ الدهرَ كلهُ، وهذا أسلوب مبالغة وإطناب يعكس مكانة اللغة العربية العظيمة عند الشاعر والتي، بناء على وجهة نظره، تَسِعُ العالمَ بأكملهِ، واللغةُ العربيةُ الفصحى لم تعش منذ نزول القرآن الكريم فقط بل امتدادها مئات السنين من قبل، فهي إحدى اللغات السامية منذ أقدم العصور، والشاعر هنا يؤكد أن تأثير اللغة العربية مترامي الحدود على امتداد الثرى وعلى مدى الزمن، وهذا البيت على وجه الخصوص صادق في مدلوله المكاني للغة العربية التي انتشرت في أرجاء الأرض وبحق يمكن القول أن اللغة العربية كانت يوماً لغة الدولة العربية الإسلامية التي لا تغرب عنها الشمس، وبيان ذلك ان الدولة الإسلامية في العصر الأموي والعباسي وما بعدهما اتسعت ووصلت إلى إندونيسيا بعد الهند شرقا ثم إلى الأندلس في أوروبا غربا.

0. مثلما أحدثته في عالم عنك لا يعلم شيئاً أبدا

البيت الثالث أعلاه عبارة عن امتداد لسابقه وفيه تواصل رسم الشاعر لمكانة اللغة العربية وواقعها، ويقرن الشاعر سؤاله واستفساره عن اللغة العربية بوضع الأمثلة التوضيحية حيث يعتبرها ذات أثر عظيم على العالم بما تمتلكه من قيمة تفكير فلسفي وبما تتمتع به من خلفية هائلة من المفردات اللغوية وغنى في دلالتها الحسية والضمنية، ومع ذلك يجد كثير من العرب أنفسهم لا يلمون ولا يتمتعون بمعرفة جيدة أو مكتملة عن اللغة العربية التي يتحدثونها.

0. فتعاطاك فأمسى عالما بك أفتى وتغنى وحدا

ينتقل الشاعر في البيت الرابع إلى من يمتلك الملكات اللغوية للعربية الفصحى، وهذا نقيض البيت السابق الذي لا يدرك من اللغة العربية الا القشور، فالعالِم باللغة العربية، أي النوع الثاني، هو الذي وصفه أنه مدرك وعالم بفروعها المتنوعة مثل استخدام التراكيب القواعدية والنحوية السليمة وكذلك ربطها بالاستخدام الأمثل من ناحية المعاني والذي تتمتع به اللغة العربية الفصحى من الاطناب والاسهاب الإيجابي والامتاع بما يفيض منها من شعاع الشعور الناتج عن اتقان هذا العالِم باللغة العربية ويسطرها شعرا، وإذا وصل الحال بالمتكلم بها إلى هذه المرحلة فإنه قادراً على أن يتغنى بها في حواره باعتبارها لغة الشعر والفصاحة والجمال والمشاعر الفياضة بغزارة معانيها وإيقاعها الخلاب، والشاعر هنا يؤكد، مخاطباً اللغة العربية كأنها إنسان له شعور وإحساس، قائلا أن من يتعاطى ويأخذ اللغة العربية بالتعلم والفهم فإنه بلا شك سوف يصبح أحد علمائها الذين يمكنهم الإفتاء في أي موضوع من مواضيعها، ومثل ذلك التغني بإمكانياتها اللغوية الجليلة شعراً ونثرا.

0. وعلى ركنك أرسى علما خبر التوكيد بعد المبتدأ

إحدى ركائز اللغة العربية تتمثل في البناء اللغوي أو ما يمكن أن نسميه التكوين القواعدي أو النحوي والذي يعتبر أساس أي لغة حية، والشاعر حمد بن خليفة لم يغفل هذا الجانب بل نوه الية ابداعياً حيث أشار إلى أن علم اللغة والقواعد والتراكيب هو ركنٌ أساسي من أركان هذه اللغة الغامرة والمجيدة والعظيمة عظم اتساعها ورحابتها وانتشارها وسريان الفاظها ومعانيها على امتداد الأرض والزمن، ولايزال الشاعر يخاطب اللغة العربية مجسداً إياها كشخصية لها روح ينبض وعقل الفهم والإدراك ، مشيراً إلى أن اللغة العربية تتميز بقواعدها النحوية منذ العصور القديمة من تاريخ نشأتها وليس مثل لغات أخرى قديمة تلاشت واختفت، ومن جانب آخر فهناك لغات قديمة مثل اللغة الإنجليزية ولكنها في مدرسة القواعد والبناء اللغوي جديدة حيث أن قواعدها حديثة الانشاء لا تتجاوز ثلاث أو أربع مائة من السنين على الأرجح.

الشاعر في هذا البيت يؤكد أن اللغة العربية قد نشأت بنشوء قواعدها التركيبية والنحوية التي جعلت منها صرح هام في عالم الألسن، من هنا يدرك المتأمل لهذا البيت الشعري ابداع الشاعر في الرسم الوصفي الخلاب الذي جعل القاعدة عِلما، حيث أوضح أن الأساس في اللغة مكانه في القمة والقمةُ لا ترسخُ إلا بقواعد متينة صلبة تتحمل ما تحمله وتجعله يصمد أمام هبّات العواصف والرياح، فالمبتدأ والخبر من أهم ركائز الجملة الاسمية في اللغة العربية الفصحى.

0. أنت علّمت الألى أن النهى هي عقل المرء لا ما أفسدا

ويستمر الشاعر سارداً في أسلوبه التحاوري والتخاطبي مع اللغة العربية حيث ينقلنا معه إلى تصور واستحضار شخصية اللغة العربية كمعلم، من خلالِ هذا المُعلِم يدرك المتعلم أن العقل هو أهم جزء في هذا الكيان، فالإنسان بدون عقل يدرك ويفهم ويميّز لا يساوي شيء ويمكن للقارئ الكريم أن يتصور مقارنة بسيطة بين إنسان عاقل وبين آخر مجنون، فهل من وجه التقارب بينهما؟ من خلال العقل ندرك ان لا تقارب بينهما ولا تشابه، فالمجنون تسقط عنه كل التكليفات المناطة بالعاقل، وفي المرادف ايضاً فالمجنون الذي يفتقد إلى العقل فانه بلا شك لا يميز بين الفاكهة الفاسدة وبين السليمة، وهكذا فاللغة العربية لها مكانتها كمكانة أرقي إنسان عاقل مناط به التميز والفهم والإدراك واستحضار الحكمة التي ينبع منها الأمثال والدلالات ذات الشعور والوجدان والأحاسيسِ الناتجة عن التعامل الصادق مع اللغة العربية وفهمها.

0. ووضعت الاسم والفعل ولم تتركي الحرف طليقاً سيدا

عودة إلى عناصر التحكم ببناء الجملة في اللغة العربية الفصحى، يعاود الشاعر أبو شهاب، حمد بن خليفة التركيز على الأسس التي يبنى من خلالها الكيان المتين لهذه اللغة ووضع اللبنات التي من خلالها شيدت هذه اللغة الكريمة، يقول سعيد أحمد بيومي في كتابه أم اللغات: دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها (2010)، "وقد بلغت اللغة العربية من الكمال والنضج شأواً كبيراً لم تبلغه لغة غيرها بشهادة أبناء اللغات الأخرى" (ص 26)، ومن ذلك ندرك أن درجات الكمال تكمن في وضع الأهم ثم المهم وبذلك يؤكد الشاعر القاعدة اللغوية التي مفادها أن الجملة في اللغة العربية الفصحى تعطي أولوية للأهم من المفردات التي هي الركيزة لبناء الجملة مثل الاسم الذي من خلاله تتكون الجملة الاسمية ومثل ذلك الفعل الذي من خلاله تُشيّدُ الجملة الفعلية، ثم يأتي بعدها الجزء الثالث من أجزاء الكلام والتي يعتبر بالطبع مهم، وبطبيعة الحال فان الحروف وهو من أجزاء الكلام في اللغة العربية مرتبته أدني من الاسم ومن الفعل في وضع وتكوين الجملة وأيضا هو مقيد وليس مطلق الاستخدام فيجوز أن تكون هناك جمل اسمية أو فعلية بدون حروف الجر لكن من غير الطبيعي أن تكون هناك جملة بدون اسم في الجملة الاسمية وبدون فعل في الجملة الفعلية، وبذلك ندرك أن اللغة العربية ترتب كل أجزائها بشكل أنيق.

0. أنتِ من قوّمت منهم ألسنا تجهل المتن وتؤذي السندا

عملية الحوار متواصلة بين الشاعر وبين اللغة العربية، وهنا يشير الشاعر إلى الدور العظيم الذي تقوم به اللغة العربية كأداة تقويم المعوج الذي يجهل الاستخدام السليم لقواعد اللغة العربية وهذا المعوج في لغته يسئ لنفسه ولمن حوله حيث أن سنده اللغوي الغير جدير والغير سليم يكون سبباً في أن سنده اللغوي والمتصف بالجهل يصبح مذل ومخز وشائن ومعيب ومهين لنفسه كمتحدث ذو لسان معوج، وهنا نستشف من مكنون ما أراده الشاعر أن اللغة العربية لديها لفتة كريمة وفضل في تصويب المخطئ وان هذا فضل منها للمتعلم والمتحدث لكي يصبح الجاهل عالماً وعندئذٍ لن يؤذي اللغة بالأخطاء، اللغة العربية ذاتها هي كالمُعلِم الذي يساعد المتعلمين على النهج الصواب وتجنب الزلات، ولا ننسى الإشارة إلى وسيلة شعرية خلابة يرسمها الشاعر بتحويل اللغة إلى إنسان وليس مجرد أداة جامدة، وبذلك فاللغة العربية هي المدرب الذي يصحح ويصوب للمتعلمين أخطائهم.

0. بك نحن الأمة المثلى التي توجز القول وتزجي الجيدَ

البيت الشعري التاسع هو نقطة محورية في القصيدة حيث ينتقل بنا الشاعر حمد بن خليفة إلى اتجاه آخر عن الاتجاه الأول والذي تمثل في تخاطبه مع اللغة العربية والآن في هذا المنحى الآخر يرسم لنا الشاعر صورة مجيدة عن اللغة العربية حيث يشير الشاعر إلى المكانة المرموقة والجليلة التي بها تسمو أمة العرب بانتمائها لهذه اللغة السامية الجليلة، فالأمة العربية ارتفعت وسما شأنها الأدبي والعلمي بسبب هذه اللغة المثالية، فيها هذه اللغة كل قول موجز، ومن خصائص اللغة العربية الايجاز في القول ومن ذلك المثل المشهور "خير الكلام ما قل ودل" (شاهر، ص 204)، ومثل ذلك فاللغة العربية ترفع القول الجيد والفخم والقيم، وأيضاً من صفات هذه اللغة أن القول الشعري فيها جلي ومعبر وشامل ويحمل في جنباته الحكمة والحصافة، انها اللغة العربية التي من خلالها تظهر غزارة المصطلحات والتعبيرات التي مكنونها جوهر ومصطلحاتها لؤلؤا، إنها اللغة العربية المليئة بالاصطلاحات التي لا يمكن فهمها إلا من خلال التأمل والتفكير العميق.

0. بين طياتك أغلى جوهر غرد الشادي بها وانتضدا

البيت العاشر من هذه القصيدة – اللغة العربية – يتصل بسابقه في سرد ملكات وقدرات وامكانيات اللغة العربية والذي من خلاله يخبر الشاعر القراء والمستمعين أن اللسان العربي، ويقصد به اللغة العربية، أنها تحمل في طياتها اغلى جوهر بل إنها هي الجوهرة الثمينة في حياة العرب التي بها حُفِظَ القرآن الكريم – جوهر الحياة – وبذلك فهي حافظة لأغلى الجوهر واللؤلؤ والدرر، إنها اللغة العربية التي يترنم ويشدو ويغرد ويرتل بها الشاعر أو الخطيب من فيض أحاسيسه وخوالجه ووجدانه في نغماتٍ دافقةٍ بالعبارات الفياضة والمتدفقة كانهمار

غزير الغيث، إن المتحدث باللغة العربية خصوصاً الشعرية يرتقي بنغمات صوته الصادح ليصيح كالعصفور المغرد بأجمل الالحان والنبرات في بستان اللغة الوارف الظلال بالمعاني الخلابة، لا شك أن جوهرة اللغة العربية هي الشعر البليغ الأصيل الذي به يرفع الحق وبحكمته يزهق باطل الزيف، وهو الذي صاغه الشاعر ورده المطرب بأعذب الأصوات وأحسن الإيقاع والألحان، إنها اللغة العربية التي عندما تتكلم بصوتها العالِ في أي مناسبة فان الناس يحضرون مجتمعين بانتباه.

0. في بيان واضح غار الضحى منه فاستعدى عليك الفرقدا

في هذا البيت الشعري، الشاعر حمد بن خليفة ينذر المتحدث باللغة العربية أنه يجب عليه أن يكون حذر وفطن عند تناوله وتعامله مع هذه اللغة الفصحى والمليئة بالجواهر والدرر، لغة هذا وصفها على صاحبها أن يعتني بها ضمناً وواجباً مثلما يحافظ مقتني التحف على تحفه ويعتني بها ويزيل عنها ترابها ويبعد عنها سقط غبارها، أما إن كان المتحدث بهذه اللغة لم يعطها مكانتها وحقوقها اللغوية السليمة فإنه بذلك يكون سبباً للحط من قدر لغته ومكانتها، وأيضاً يعطي الفرصة لأعداء اللغة من النيل منها من خلال الانحدار إلى لهجات ذات طابع دوني، وأعداء اللغة العربية نوعان؛ الأول دخيل خارجي تأصل العداء للغة العربية بارتباطها بالقرآن الكريم الذي صانها، والثاني وهو الأخطر هو العربي الذي يحط من قدر نفسه وعربيته من خلال هروبه إلى دونية اللهجات المحلية التي تعتمد على قواعد مشروخة وعلى الفاظ مهزوزة غير ثابتة، والتي تسئ إلى فصاحة العربية، فمثلاً إذا غض المتحدث الطرف عن إتباع القواعد السليمة والصحيحة عند التحدث باللغة العربية فإن النتيجة ستكون مصاحبة بالغرابة والشذوذ وأيضاً الانحراف في اللفظ والمعني وبذلك يفقد المتحدث السمو في لغته، ويشير الشاعر إلى أن عدو اللغة العربية هو شبيه البهيمة أو الدابة التي لا تميز بين السمين والغث مثل العجل والذي هو على مرتبة سوا مع الغر من الفتيان، وكما يصور شاعرن لوحته عن عدو اللغة العربية فانه ذلك الكيان الذي يشبه الوحش ولا يدرك شيئا مثل العجل الذي يصبح عدواً ولكن دون وعي، إن عظمة اللغة العربية ناتج عن سلامتها في قواعدها وأصولها واهتمامها بتجويد اللفظ والابداع في القول وكذلك شموليتها فهي مثل الصباح الساطع نهارا.

0. نحن علمنا بك الناس الهدى وبك اخترنا البيان المفردا

يستطرد الشاعر موضوعه الرئيسي عن اللغة العربية موضحاً مكانتها الجليلة ودورها الوضاء لكل من يتناولها بحقها، ومثل ذلك تأثيرها على من حولها وعلى محيطها من أولي الألباب، فمن خلالها أصبح العرب هداة للعالمين، فالعرب ومن خلال اللغة العربية كانوا من يشعل مصباح الهداية والإرشاد من خلال العلم والحث عليه، ووسيلة العلم بالطبع هي اللغة التي تُرجِمت إليها معارف الحضارات القديمة حينئذ قام العرب المسلمون باستيعاب تلك العلوم والمعارف ثم العمل على تطويرها وتقديمها للأمة العربية الإسلامية وللعالم في شكلٍ وقالبٍ جديد مغلف بصبغة اللغة العربية، ويشاطرنا الرأي جُرجي زيدان في كتابه 'تاريخ آداب اللغة العربية' حيث يقول "إن الآداب العربية كانت أساساً لآداب كل أمة ظهرت في أثناء التمدن الإسلامي، أو بعده ... حتى في أوروبا، فالإفرنج في نهضتهم الأخيرة استعانوا على إنشاء تمدنهم بما خلفه العرب من كتب العلم والفلسفة" (ص 26)، واللغة العربية هي العَلَمُ الذي يقود ويرشد الآخرين، وفيها البيان والجزالة والبلاغة واضحة جلية لأنها المرشد والقائد للعلوم، وكما يسطر لنا التاريخ الإسهام الجلي والواضح للعرب المسلمون في الأندلس، على سبيل المثال لا الحصر، "من بداية القرن الثامن حيث سطروا واحد من ألمع وأسطع الفصول في فكر التاريخ القديم في فترة العصر المتوسط لأوروبا، خلال منتصف القرن الثامن وامتداداً إلى بداية القرن الثالث عشر كان العرب المسلمون هم أهم حملة مصباح الثقافة والمعرفة والحضارة في العالم" (Dahami, 2015)، فاللغة العربية كانت ومازالت وسوف تستمر هي الحامل لمصباح وشعلة العلم والمعرفة التي دعا إليها الدين الإسلامي الحنيف الذي حث أبناء الأمة على التعلم والتعليم، وكما يشير الشاعر فإن العرب اعتبروا اللغة هي وسيلة تعليم الناس وارشادهم إلى النهج الصائب والمستقيم والصحيح، وبذلك نفهم وندرك أن العلاقة بين العرب واللغة العربية هي علاقة تبادلية ونيابية فكل منهما يحل محل الآخر، ومثل ذلك فكل منهما ينوب عن الآخر فالعرب رمزيتهم اللغة العربية واللغة العربية هي لسان العرب، ومن ذلك ندرك أن العرب اتصفوا بالبيان الحقيقي المتميز والمميز لهم من خلال اللغة العربية.

0. وزرعنا بك مجداً خالداً يتحدى الشامخات الخلدا

كما في الأبيات السابقة يواصل الشاعر تمجيده ومدحه للسان العربي وأيضا للعرب الذين كانت اللغة العربية لسانهم ونمط تخاطبهم وتحاورهم وكذلك كانت منهاج الأدب ونغم الشعر الذي يحرك صخور الجبال الراسية وتتمايل مع نغماتها زهور السوسن وزنبق الياسمين المزروعة على ضفاف الوديان والأنهار والينابيع الدافقة، واللغة العربية كما يصورها حمد بن خليفة أصلها راسخ في أعماق القلوب، متجذرة في عمق أساسها الثابت المتفرع منها أغصان الأدب كالشعر والنثر والخطابة والبلاغة والحكمة، وكل ذلك يصوره الشاعر كغرس ثابت أصيل يتحدى أعاصير الدهر وتقلبات الزمن، وهي بذلك خالدة قديمة قدم الزمان متجددة تجدد الولدان.

استخدم الشاعر مصطلح الزراعة ولم يستخدم مصطلح البناء، اذا جاز القول، وذلك لان الزراعة أقدم من البناء والتشييد، وكشاعر عربي بيئته تشتهر بزراعة النخيل التي تعتبر من الباسقات في الطول ومثل ذلك تتميز أشجار النخيل برسوخ جذورها وتعميرها وصعوبة اقتلاعها فقد رسم لوحة مقارنة مجازية بين كيانات مزروعة كالأشجار وبين اللغة العربية، ويمكن القول ايضاً أن الشاعر استخدم مصطلح الزراعة بدلاً من البناء أو التشييد لان الزراعة عملية فيها حياة ونمو والبناءُ جامدٌ ليس فيه حياة وكذلك اللغة العربية لغة سمنها الحياة والنمو، فهي تنمو وتزداد باضطراد دائم ديمومة العين التي تقرأ والتنفس الذي بشهيقه وزفيره يتحدث، فالغرس والزراعة ليست حسية وإنما رمزية مجردة تعكس مكانة اللغة العربية بين العرب والتي تشيرُ إلى مجدٍ وسموٍ ومهابةٍ ومقامٍ خالدٍ يتحدى الشامخات من البنايات، من خلال ابياته الشعرية يقدم الشاعر صورة مذهلة في التعامل مع اللغة العربية ويظهر المتحدث عملية بناء وتشييد دائمة ومستمرة، ولكن اي نوع من البناء؟ إنه بناء المجد والكرامة والفخر.

0. فوق أجواز الفضاء أصداؤه وبك التاريخ غنى وشدا

يرسم لنا الشاعر لوحة رائعة وخيالية عن اللغة العربية ذو مجد مكانتها فوق النجوم وصداها يملأ الآفاق، لقد وصل مجد العرب إلى الجوزاء بفضل اللغة العربية، والصدى هو وسيلة موسيقية، ومثل ذلك فهو احدى أدوات الكلام والذي يعتبر نغمة تُجَمِلُ الصوت نتيجة لتكراره بشكل متواتر لدرجة تُقَارِبُهُ من الموسيقى، وهذا هو الشعر الذي من خلال الشعور تتهيج المشاعر وتثور الخوالج والعواطف والوجدان، ونتيجة لذلك فقد بلغت اللغة العربية سماءً وفضاءً عالياً متجاوزةً افاقاً فاقت مثيلاتها من لغات العالم، وبهذا الرسم المجازي أراد الشاعر أن لا يقارن فقط بين اللغة العربية ولغات أخرى بل ان يفضل اللغة العربية بمكانتها التي وصلت إليها عن سائر اللغات الأخرى، ومفاد ذلك أن هذا اللسان العربي تم تسجيله كمقطوعة تاريخية موسيقية يتغنى ويشدوا بها العالم باسرهِ، من خلال هذا البيت الشعري حَوّلَ لنا الشاعر التاريخ من جرد تسجيل إلى تشخيص للمغرد الذي يمتلك الروح والاحساس، ومن ذلك ندرك براعة الشاعر في استخدام أسلوب التشخيص الذي هو احد الأساليب الهامة المتمثلة في التشبيه الشعري، التاريخ كميراث للامة كُلِفَ لكتابة صفحات مجيدة في سفر فضاءات اللغة العربية.

0. ما اصطفاك الله فينا عبثاً لا ولا اختارك للدين سدى

هذا البيت الشعري والذي يمثل منتصف القصيدة والبيت الأخير في هذه الورقة البحثية يصل بنا الشاعر إلى نتيجة ذو أبعاد تأكيدية وليست جدلية بل حتمية، هذه النتيجة التي يرسمها الشاعر تفيد ان اللسان العربي الفصيح، اللسان الذي نزل به دستور الحياة الأبدية لجميع الأمم – القرآن الكريم الذي تشرفت اللغة العربية بأن تكون لسانه، وبها انتشر شعاع الهدى وفيض الرحمة الإلهية في جميع أركان وزوايا هذه البسيطة التي يقطنها الإنسان، اللسان العربي ليس وليد اللحظة ولم يوجد نتيجة الصدفة بل هو اصطفاء واختيار، وارقى من ذلك كله انه ليس اصطفاء من البشر بل من خالق البشر، وليس اختيار من إنسان بل من موجد الإنسان، انه اختيار الله سبحانه وتعالى الذي علمه وسع كل شيء، وأن هذا الاصطفاء جاء لأهمية كبرى ومكانة جليلة لتلك الأمة التي تتحدث اللغة العربية، ولم يكن ذلك عشوائياً أو جزافا، وفوق ذلك كله فقد اختار الله سبحانه وتعالى لهذه اللغة العربية أن تكون لسان الدين الإسلامي، والدين الإسلامي هو الدين الحق الخاتم ابدا ما أقام الله حياة الإنسان على سطح هذه البسيطة، إن اختيار الله للسان العربي ومنحه هذه المنزلة الرفيعة والجليلة لم يأتي صدفة أو سدى بل مكرمة من الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة ويمكن القول لمكانة اللسان العربي المتكامل في تفاصيل تكوينه، والمتخصص في علم فقه اللغة يدرك أن اللغة العربية هي أكمل اللغات العالمية، ولا يوجد فيها نقص في لفظ أو حرف أو صوت كما هو شائع ومنشر في لغات العالم الأخرى، إنها عظمة وروعة لغة الضاد.

0. نقاش

- تتميز القصيدة ببراعة الشاعر في استخدام عدد من الوسائل والمفردات الشعرية والأدبية مثل التشبيه والاستعارة ومثل ذلك التشخيص، فنجد الشاعر يصور ويخاطب اللغة العربية كأنها الشمس الساطعة في مقارنة صريحة وماثلة للعيان أن اللغة العربية هي الشمس التي تنير الطريق للمشاة، فاستخدام الاستعارة التشبيهية هنا هي إشارة توضح أن اللغة العربية تُرشد وتُحرك العقول وتَحُض القلوب إلى طريق المعرفة والخبرة الفكرية الراشدة، لوحة فنية أخرى ندركها؛ إنها استخدام الشاعر التشبيه بالمقارنة بين اللغة العربية وبين نبع ماء أو شلال ماء دائم لا ينقطع ودلالة ذلك أن اللغة العربية عميقة في مفرداتها وتعابيرها وصيغها العميقة واللامتناهية.
- نجد في البيت الشعري السادس استخدام الشاعر لأسلوب التشخيص الجميل الذي يصوّر اللسان العربي كإنسان بينه وبين الشاعر حوار وتخاطب، هذا الإنسان (اللغة العربية) هو في الأصل المُعلم الذي يصحح سوء الاستخدام اللغوي، والمعلم مناط به تصويب الأخطاء والزلات التي يرتكبها عديد من متكلمي هذه اللغة.

- استطاع الشاعر أن يجعل القصيدة كاملة ذو قافية متجانسة تنتهي موحدة بصوت موسيقي وهو الـ (آ)، بالرغم من تجاوز عدد من الكلمات في أصلها حيث تعتبر القافية زائدة لغرض شعري، ومن ذلك الكلمات التالية التي لا تنتهي في أصلها بحرف الالف (السندا، الفرقدا، المفردا، الخلدا) ولكن كان لزاماً على الشاعر إضافته كما ذكرنا لمأرب شعري.
- يجدر الإشارة هنا إلى تنوع اشكال القافية كتابياً مثل (العدى، أبدا، الجيدَ) حيث نلاحظ التنوع فيما بين الألف اللينة والألف القائمة وأيضاً الفتحة في كلمات مثل 'الجيدَ' ولكن الأصل توحدها صوتاً وهذا هو الأصل في الشعر.

0. **التوصيات**: تمر اللغة العربية في مراحل عديدة إلى انتقاص من قيمتها كلغة حية عالمية سامية مؤثرة ومتأثرة من خلال عدد من أبنائها الذين انحدروا إلى دونية التعامل باللهجات القاصرة التي تدل على ضعف وعجز وعدم فهم أهمية وعظمة هذه اللغة العالمية، فكان لزاماً على من تعلم ونهل من فيض غيثها أن يصدح بصوت عزتها وقوتها ومكانتها بين الأمم، والتوصية بضرورة تحمل المسئولية المشتركة من أجل إعادة الاعتبار للغة العربية، لغة القرآن والمكانة التي تستحقها، والمسئولية مشتركة ومناطة اولاً بولاة الامر ثم تنحدر المسئولية الى الكيانات التعليمية الرسمية والثقافية والمجتمعية كل وفقا لسلطته وامكانيته، وفي الأخير مسؤولية كل عربي ينتمي إلى هذه الأمة العظيمة الذين باعتزازهم باللغة العربية تسمو اللغة العربية وهم باللغة العربية يزدادون رفعة واعتبار.

هذه الورقة البحثية اعتمدت في جلها على التطرق إلى تحليل نقدي لجزء من قصيدة اللغة العربية لحمد بن خليفة أبو شهاب والتي تحتاج الى استكمال بجزء آخر تكميلي.

الخاتمة

تم تقديم اللغة العربية الفصحى كلغة سمو وتفوق بين لغات العالم بما تمتلكه من النصوص والتعابير والصيغ والأساليب الوفيرة والغزيرة التي يمكن تمييزها من خلال لوحات أدبية ولغوية غير متناهية، وفي العموم يمكن تقييم قصيد اللغة العربية للشاعر الإماراتي حمد بن خليفة أبو شهاب كواحدة من الكيانات ذات الصوت العال من اصوات الأدب العربي الخالدة التي تصف بصدق اللغة العربية الفصحى وعاداتها التي تحوي الثقافة والقيم والفلسفة والموروث العربي، قصيدة اللغة العربية القت الضوء على مكانة اللغة العربية الفصحى والقصيدة بذلك يمكن اعتبارها وابرازها كعمل أدبي استثنائي وتمتلك أهلية واستحقاق وجدارة.

استطاع الشاعر من خلال قصيدة 'اللغة العربية' أن يشكل ويصوغ حدة الذهن والحسن والفطنة التي يمتلكها اللسان العربي، ومثل ذلك الجراءة الاخاذة والخلابة، فاللسان العربي له القدرة على أن يثير ويحفز ويشعل الحماسة في أذن المتلقي وفي فواد القارئ، واللغة العربية تمتلك الأسس والضروريات من أدوات الجذب المرنة والتي هي بعدد الينابيع والعيون الدافقة، هذه القصيدة، بوضوح، تضمنت استجابات دؤوبة وعظيمة وتاريخية ومجيدة، لا يشك احد أن الاستعارات الشعرية كالتشبيهات المباشرة والمجازية والصور البلاغية تعمل على تقوية القدرات البلاغية لدى الشاعر وتحرك المشاعر لديه ومثل ذلك لدى المستمعين، تلك القدرات تنشأ مرتبطة بعاطفة وتفاعل داخلي ويتم تلقيها عمل أدبي غير متناهي وبلا حدود.

هدفت هذه الدراسة التحليلية الناقدة إلى التمعن وكشف غور الصور الخلابة واللوحات الرمزية في المقطوعة الشعرية 'اللغة العربية'، ومن خلال تحليل القصيدة يبرهن الباحث أن الشاعر يمتلك فطنة وتبصر حاد وفراسة واحساس قدير فيما يخص اللغة العربية الفصحى، وقد قامت الدراسة بتقييم وفحص الصور المجازية والخطابية والبلاغية في قصيدة اللغة العربية، لقد سعت هذه الورقة البحثية في محاولة لتتبع الأسلوب الواضح والطريقة المتبعة في واحد من اهم المواضيع الجادة والهامة والمتمثلة في اللغة العربية الفصحى، فحمد بن خليفة استطاع بحرفية ومهارة ان يظهر تعبيراً التشخيص والرمزية الحيوية والاصيلة للحكمة العربية وامثالها الخالدة في القرن العشرين وامتداد ذلك إلى القرن الحادي والعشرين، ومن المؤمل أن هذه الدراسة الناقدة الوصفية قد وتوصلت إلى نتائج هامة عن مكانة اللغة العربية وعن تأثيرها في من حولها ومثل ذلك جذبها ودوافعها في حياة العرب من خلال التطرق إلى عدد من القيم والمعايير المنظمة لمسار سلوكهم، إن ما تم ذكره في هذه الدراسة يشجع على فتح بوابة البحث والتحليل لمزيد من الدراسات والاعمال الاستقرائية عن اللغة العربية الفصحى باعتبارها مكونًا حيًا للعرب وباعتبارها لغة عظيمة شامخة.

المراجع:

1. مراجع عربية

1. أبو شهاب، حمد بن خليفة، قصيدة اللغة العربية، القصيدة مصدرها موقع الديوان ...، اخر تصفح نوفمبر 2019 من https://www.aldiwan.net/poem969.html.

2. البغوي، الحسين بن مسعود. (1411 هـ.)، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، المجلد الرابع، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
3. الدوسري، (2013)، محمود بن أحمد بن صالح، عظمة القرآن الكريم، الدمام ومدن اخرى: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.
4. السعدي، عيسى ابراهيم (2013). الأدب العباسي: بين القدم والحداثة، عمان: أمواج للنشر والتوزيع.
5. القران الكريم، 1436 هـ ـ المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
6. المناوي، محمد عبد الرؤوف، (2018)، فيض القدير: شرح الجامع الصغير، الجزء الأول، بيروت: دار الكتب العلمية.
7. الهاشمي، أحمد (1969)، جواهر الأدب في ادبيات وانشاء لغة العرب، المجلد الثاني، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
8. بيومي، سعيد أحمد (2002)، أم اللغات: دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، القاهرة: مكتبة الآداب.
9. رمضان، محمد عطا سعيد (2010). خلاصة التحقيقات في الرد على الشبهات والتصورات، بيروت: دار الكتب العلمية.
10. زرمان، محمد (2018)، اللغة العربية وإكراهات العولمة، الجزائر: مجموعة يازوري للنشر والتوزيع
11. زيدان، جورجي (1972)، تاريخ آداب اللغة العربية، القاهرة: دار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع.
12. شاهر، جهاد (2008). دراسات في الابداع الفني في الشعر، عمّان: دار يافا العلمية.
13. منذر، إميل (2016)، اللغة العربية الفصحى: مشكلاتها ومشاريع تيسيرها (ط. 1)، بيروت: دار النهضة العربية.
14. مؤنس، حسين (1978)، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

مراجع انجليزية :

Abdul-Rahman, M. S. (2003). The Qur'aan and its Sciences: Islam Questions and Answers, Vol 3. London: .MSA Publication Limited

Arbuthnot, F. F. (1890). Arabic Authors: A Manual of Arabian History and Literature, London: William .Heinemann

.Chejne, A. G. (1969). Arabic Language: Its Role in History. Minneapolis: University of Minnesota Press

.Chenery, T. (1869). The Arabic Language: A Lecture. London: Macmillan and Co

.Clouston, W. A. (1881). Arabian Poetry for English Readers. Glasgow: Privately Printed

.Coke, R. (1929). The Arab's Place in the Sun. London: Thornton Butterworth Ltd

Dahami, Y.S. H. (2018). Salamah ibn Jandal: The Tribe Aficionado and Horse Admirer. *International .Journal of Sciences: Basic and Applied Research (IJSBAR)* Volume 42, No 5, pp 123-136

Dahami, Y.S. H. (2015). The Contribution of Arab Muslims to the Provencal Lyrical Poetry: The .Troubadours in the Twelfth Century. *Journal of Arts*, *King Saud Univ., Riyadh*. 27(1): pp. 1-19

.Faris, N. A. (1946). The Arab Heritage. New Jersey: Princeton University Press at Princeton

Gruendler, B. (2002). Medieval Arabic Praise Poetry: Ibn Al-Rumi and the Patron's Redemption. .Routledge

.Hogarth, D. G. (1922). Arabia, Oxford: At the Clarendon Press

.Huart, C. (1903). A History of Arabic Literature. New York: D. Appleton and Company

.Nicholson, R. A. (2004). Literary history of the Arabs. NY: Routledge

Ramadhan, M. A. S. (2010). The essence of the Investigations in Response to Suspicions and Perceptions. .Beirut: Dar Al Kotob Al-Ilmiyah

.Thorndike, L. (1927). *A Short History of Civilization*. London: John Murray, Albemarle Street, W

Wortabet, C. (1907). Arabian Wisdom: Selections and Translations from Arabia. London: Hazell, Watson .and Aylesbury Ld